

الباب الثالث

الفصل الأول

في الشعر

انتحال الشعر

نشط أدباء الشيعة نشاطا عظيما في وضع الشعر الذي يرفع من شأنهم ويقوى من دعائم مذهبهم ، ويحط من شأن أعدائهم . وأجروا هذا الشعر على السنة أئمتهم وعلى السنة قوم آخرين . وقد كثر ذلك الشعر حتى شغل مكانا بينا في الأدب العربي . وكانوا أحيانا يزيدون في قصائد بعض الشعراء ما يؤيد رأيهم ويدعم حجتهم في الخلافة وحق علي فيها . وقد ظهر هذا الانتحال في مظاهر مختلفة .

(١) شعر أبي طالب

لقد وضعوا كثيرا من القصائد ونسبوها إلى أبي طالب ليثبتوا بذلك إسلامه ، وحسن بلائه في الدين ودفاعه عن النبي وحمایته له ، وجهاده في سبيل الإسلام ، فما ينسب إليه قوله :

ولما رأيتُ القومَ لا ودَّ فيهم وقد قَطَّعُوا كلَّ العُرى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأوعُوا أمرَ العدوِّ والمزائلِ

ومنها :

كَذَّبْتُمْ وَيَتِ اللهُ نَهْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعَنْ دُونَهُ وَنُتَاضِلِ
وَنَسْلُمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَّائِلِ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
نَهْوضَ الرِّوَايَا^(١) تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ^(٢)

ومنها :

وَأَيُّضَ^(٣) يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالَ^(٤) الْيَتَامَى عَصْمَةً لِلْأَرَامِلِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ^(٥) مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ وَآلِ قُصَيٍّ فِي الْخُطُوبِ الْإِوَائِلِ
وَسَهْمٍ وَمُخْزَوْمٍ تَمَالَوْا فَأَلْبُوا عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طَمْلٍ وَخَامِلِ
فَعَبْدَ مَنْافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلِّ وَاعِلِ

وهي طويلة أورد منها ابن هشام أربعة وتسعين بيتاً ثم قال : وهذا ما صح لي من هذه القصيدة . وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

ومثال آخر مما ينسب إلى أبي طالب .

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَأَنْشُرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْكَ عُيُونَا

(١) جمع راوية وهو البعير أو البغل .

(٢) وذات الصلاصل هي الزادة التي ينقل فيها الماء ، والصلاصل جمع صلصلة بضم الصادين وهي بقية الماء في الاداوة .

(٣) كريم .

(٤) العباد .

(٥) الفقراء والصعاليك .

ودَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينَا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَخَافَةُ أَنْ يَكُونَ مَعَرَةً لَوْجَدْتَنِي سَمْعًا بِذَلِكَ أَمِينَا
ففي هذا الشعر تكلف ظاهر وتصنع واضح . ترى فيه أبا طالب
يظهر استعداداه للموت في سبيل الرسول ويأمره بالاستمرار في نشر
الدين في غير خوف ولا وجل ويعترف له بالصدق في دعواه ويقر بأن
الإسلام من خير أديان البرية دينا . هو يعترف بذلك كله ويؤمن به
ولكنه لا يعتنق الإسلام خشية العار . وأى عار هذا الذي خشية
أبو طالب ولم يخشاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحزرة وغير هؤلاء . من
عظماء قريش وغير قريش . لو أن أبا طالب آمن حقا كما يظهر من هذا
الشعر ، لجاهر بذلك ولأعلن إسلامه كما أعلنه غيره من قبل ومن بعد .
وكيف يخشى المؤمن الناس والله أحق أن يخشاه ؟ ؟

(٢) شعر علي

ونظموا شعرا كثيرا ونسبوه إلى الإمام علي . ومثال ذلك ما روى
من أن معاوية كتب إلى علي رسالة جاء فيها .

إن^(١) لي فضائل كثيرة ، كان أبي سيدا في الجاهلية ، وصرت ملكا
في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخال المؤمنين
وكاتب الوحي . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أبا الفضائل تفتخر
على يابن آكلة الأكباد ؟ أكتب إليه يا غلام .

محمدُ النبيُّ أخِي وصهرِي وحمزةُ سيِّدُ الشهداءِ عَمِي
وجعفرُ الذي يُضْحِي ويُمِسي يَطِيرُ مع الملائكةِ ابنُ أُمِّي
وبنتُ محمدٍ سَكْنِي وعَرِسِي مشوبٌ لحمُها بدمِي ولحمِي
وسبطُ أحمدٍ ولدَايَ مِنها فأَيْكُمُ له سَهْمٌ كَسَهْمِي
سَبَقْتُكُم إلى الإسلامِ طَرَا صَغِيرَا ما بَلَغْتُ أَوَانَ حُلُمِي
وأوصاني النبيُّ على اختيارِ بِبَيْعَتِهِ غَدَاةَ غَدِيرِ خُمِّ
فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيلٌ ثُمَّ وَيلٌ لِمَن يَلْقَى الإِلَهَ غَدَاً بَظْلُمِ
قال^(١) أبو عثمان المازني : لم يصح عندنا أن علي بن أبي طالب عليه
السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين :

تلكم قريشُ تمناني لَتَقْتُلَنِي ولا وَجَدْتُكَ ما بَرَّوا وما ظَفَرُوا
فإن هَلَكْتُ فَرَهْنٌ ذَمَّتْ لَهُمُ بذاتِ رَوْقَيْنِ^(٢) لا يَعْفُو لها أَثَرُ
وحكى عن يونس النحوى أنه قال : ما صح عندنا ولا بلغنا أنه قال
شعرا إلا هذين البيتين . ولكن صاحب الأغاني^(٣) ذكر في ترجمة حسان
ابن ثابت ما يفيد أن عليا كان يقول الشعر . قال : كان يهجو رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبعرى ،
وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل
لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه : اهج عنا القوم الذين قد هجونا ،
فقال علي رضي الله عنه : إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) معجم الأدباء ج ١٤ ص ٤٦ . (٢) يقال داهية ذات رواقين أو ذات ودقين
إذا كانت عظيمة (٣) الأغاني ج ٤ ص ١٣٧

فعلت ، فقال رجل : يا رسول الله ، أئذن لعلّي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال : ليس هناك ، أو : ليس عنده ذلك .

وأقول ربما كان على يقول البيت أو البيتين من حين إلى حين ، ولكنه لم يكن كفؤا للوقوف أمام شعراء المشركين . وإن الذي سأل عليا هجاء المشركين كان يجهل مكانة علي في الشعر وظنه قادرا على الرد على المشركين . ونرى علياً يقول لمن سأله : إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت . فكأنه كان واثقا من أن الرسول لن يأذن له بذلك وقد تحقق ظنه ، فقال النبي عنه : ليس عنده ذلك .

وعلى كل ، فمن المحقق أن الشعر الذي وصلنا منسوباً لعلّي ليس له ، وإنما هو من وضع نفر من أدباء الشيعة ، وجل شعره الذي ينسب إليه ، ضعيف الأسلوب والتركيب ، واهى النسيج والتأليف ، يدرك المرء لأول وهلة أنه وضع في عصور متأخرة . فالفرق عظيم بين أسلوب هذا هذا الشعر ، وأسلوب الشعر في أيام علي بن أبي طالب . ولو أنك تأملت في هذه القصيدة التي مرت بك لأيقنت أنها ليست لعلّي لا سيما البيتين الأخيرين منها . فعلى يقول إن النبي اختاره وصيا على المسلمين من بعده ، ولو أن الأمر كان كما قال لسلم له المسلمون بالخلافة ، ولما نازعه فيها أحد . ولكن قصة غدير خم خرافة اختلقها الشيعة بعد عصر علي وأسندوها إلى ابن عباس . وقالوا : روى ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن آية : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، نزلت في عليّ كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يخبر الناس بولايته فتخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا : حابي ابن عمه وأن يطعنوا

في ذلك عليه . فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية ، فقال بولايته يوم غدیر خُم ، وهو موضع بين مكة والمدينة ، وأخذ بيده فقال عليه الصلاة والسلام : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . .

لا ريب في أن هذه أسطورة وضعها الشيعة وتكلفوا في وضعها شططا ، فرموا النبي بالجن والخوف وما نعلم عنه ذلك ، لأن سيرته عليه السلام المثل الأعلى في الشجاعة والإقدام . ولم يكن النبي ليخشى الناس والله أحق أن يخشاه . وكيف يأمر الله رسوله بإخبار الناس بولاية علي ويتقاعس النبي عن هذا التبليغ ؟ ؟ ولم لم يذكر الله عليا في القرآن صراحة إن أراد ولايته ؟ ؟

والشعر المنسوب لعلي مجموع في ديوان مطبوع ومتداول بين الناس وقد اهتم كثير من أدباء الشيعة بجمعه وطبعه . ولنضرب للقارىء مثلا آخر مما ينسب لعلي .

نصرَ الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ
فصدّدتُ حينَ تركته متجدلاً	كالجدعِ بين دَكَدِكَ وروابي
وعففتُ عن أثوابه ولو أني	كنتُ المقطرَ بَرزني أثوابي
لا تحسبنَّ الله خاذلَ دينه	ونبيّه يا معشرَ الأحزابِ

قال ابن هشام : « وأكثر أهل العلم بالشعر يشك في نسبتها لعلي بن أبي طالب ، وقد أورد ابن هشام في سيرته قصائد كثيرة تنسب لعلي ثم عقب على كل منها بمثل ما عقب على تلك القصيدة .

ولا أرى بأسا من أن أضع بين يدي القارىء مثلا ثالثا وهو قوله :
مالا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ أبدا وما هو كائنٌ سيكونُ
سيكونُ ما هو كائنٌ في وقته وأخو الجهالة متعبٌ محزونُ
يسعى القوى فلا ينالُ بسعيه حظًا ويدركُ عاجزٌ موهونُ
فهذا كلام في القدر لم يعرفه المسلمون الأولون إنما عرفوه عند بدء
ظهور علم الكلام ، وهذا بعد على بزم طويل . ثم إن هذا نظم وليس
بشعر . هو نظم العلوم الذى لم يظهر إلا فى أيام العباسيين .
وآخر مثل أسوقه للقارىء هو ما روى من أن عليا سمع ناقوسا
يضرب فقال لمن معه ، أتدرون ما يقول هذا الناقوس ، قالوا لا ، قال
فإنه يقول :

نَلْنَا الدُّنْيَا فَاسْتَهْوَيْنَا فَاسْتَهْوَيْنَا وَأَذَلَّيْنَا
وَاسْتَلَبَيْنَا لَسْنَا نَدْرِي فِيهَا إِلَّا لَوْ قَدْ مُتْنَا
وَاسْتَبَدَلْنَا دَارًا تَبْقَى جَهْلًا مِنَّا دَارًا تَفْنَى
يَا ابْنَ الدُّنْيَا زِنْ بِالْدُّنْيَا وَزَنَا وَزَنَا وَزَنَا
يَا ابْنَ الدُّنْيَا تَفْنَى الدُّنْيَا قَرْنَا قَرْنَا قَرْنَا

وهذا أسلوب غريب لم يألّفه المسلمون الأولون الذين كانوا يرسلون
القول على أشد ما يكون قوة ومثانة وروعة وجلالة . أما هذا الشعر
الضعيف المبتذل الذى يكرر فيه صاحبه الألفاظ إلى درجة الإسفاف ،
والذى يصنعه صاحبه ويجهد نفسه فى صنعته ، ويتكلفه ويتعب نفسه فى
تكلفه فلم يخلق إلا فى أواخر أيام بنى العباس . وقد رتب واضع هذا

الشعر المقدمة ومهد لشعره بقصة صغيرة فجعل عليا يمر ويسمع ناقوسا ويسأل أصدقاءه عما إذا كانوا يعرفون ما يقول هذا الناقوس فيردون عليه بالنفي ، عندئذ يخبرهم بما يجهلون بتلك الآيات التي قدمناها . وعلى الجملة فكل ما جاء في ديوان علي بن أبي طالب يمكن أن يرفض كما رفضنا ما تقدم .

(٣) على السنة أعدائهم

ووضعوا شعرا كثيرا فيه إعلاء من شأن علي وإشادة بشجاعته وإقدامه ، واعتراف بحقه في الخلافة ، وأجروا هذا الشعر على السنة أعدائهم . فمن أمثلة ذلك ما ينسب إلى غلام من بني ضبة كان يحارب في صفوف عائشة وهو :

نحن بني ضبة أعداء على ذاك الذي يعرف قدما بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل علي بالعمي
لكنني أنعى ابن عثمان التقى إن الولي طالبٌ ثار الولي
فأنت ترى في هذا الشعر اعترافا صريحا بحق علي في الوصاية ، وإشادة بمزاياه وفضله وما وهبه الله من حميد الصفات وكريم الخلال التي لم يستطع هذا الفتي الذي كان يحارب ضد علي أن يتناساها ، بل جاهر بها في شعره . ولو أن قائل هذا الشعر كان يؤمن بحق علي في الخلافة ويقر بفضله لما حارب ضده مع قوم كانوا يريدون إهلاكه والقضاء عليه والظفر به . ومن هنا نستطيع أن ندرك أن هذا الشعر من وضع الشيعة أنفسهم .

ولنضرب للقارىء مثلاً آخر. قيل أن عمراً تعرض لعلی فی يوم من أيام صفین ، فحمل علیه علیّ حملة کاد یقضى علیه ، عندئذ ألقى عمرو بنفسه من علی فرسه ورفع ثوبه ، وشعر برجله فبدت عورته فصرف علیّ وجهه عنه ، وقام معضراً بالتراب هارباً علی رجلیه ، معتصماً بصفوفه . فقال معاویة :

ألا لله من هفوات عمرو یُعَاتِبُنِي عَلِيٌّ تَرَكِي بَرَاذِي .^(١)
فقد لاقى أباحسن عليّاً قَابَ الْوَائِلِ مَابَ خَاذِي
فلو لم يُبْدِ عورته للآقي به ليثا يذلل كل نازي
له كف كأن براحتيها منا يا القوم يخطف خطف بازي
قيل فغضب عمرو وقال : ما أشد تعظيمك عليّاً في أمری هذا .
هل هو إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه . أقرى السماء قاطرة لذلك دما .

قال ولكنها تعقبك جينا . ولما شمت معاوية بعمر و قال عمرو في ذلك .
معاوي لا تشمت بفارس بهمة لقي فارسا لا تعثر به الفوارس
معاوي إن أبصرت في الخيل مقبلا أبا حسن يهوى دهتك الوساوس
وأيقنت أن الموت حق وأنه لنفسك إن لم تمض في الركض خالس
فإنك لو لاقيته كنت بومة أتيح لها صقر من الجو آنس
وماذا بقاء القوم بعد اختباطه وإن أمراً يلقي عليّاً لايس
دعاك فصمت دونه الأذن هارباً بنفسك قد ضاقت عليك الأمالس
وتشمت بي أن نالني عدو رحمة وععضني ناب من الحرب ناجس

(١) روى أن علياً طلب من معاوية أن يخرج لمبارزته فرفض .

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْثٌ غَابِئٌ أَبُو أَشْبَلٍ تُهْدَى إِلَيْهِ الْعَرَائِسُ
وَرَوَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ حَرَصَ بِعُضِّ النَّاسِ عَلَى لِقَاءِ عَلِيٍّ وَمُبَارَزَتِهِ
وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقَبَةَ :

يَقُولُ لَنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ	أَمَّا فِيكُمْ لَوْ أَتَرَكُمُ طَلُوبُ
يَشْدُو عَلَى أَبِي حَسَنِ عَلَى	بِأَسْمَرَ لَا تُهْجِنُهُ الْكَعُوبُ
لِيَشْجُرَهُ بِأَبْيَضَ مَقْضِيٍّ	وَتَقَعُ الْحَرْبُ مَطْرِدُ يُوُوبُ
فَقُلْتُ لَهُ أَتَلْعَبُ يَا ابْنَ هَنْدٍ	كَأَنَّكَ بَيْنَنَا رَجُلٌ غَرِيبُ
أَتُغْرِينَا بِحِجَّةِ بَطْنِ وَادٍ	أَتَيْحَ لَهُ بِهِ أَسَدُ مَهْيَبُ
بِأَضْعَفِ حِيلَةٍ مِنَّا إِذَا مَا	لَقِينَاهُ وَلُقِينَاهُ عَجِيبُ
سَوَى عَمْرٍو وَقْتَهُ خُصْمَتَاهُ	وَكَانَ لِقَائِهِ مِنْهُ وَجِيبُ
كَانَ الْقَوْمَ لَمَّا عَايَنُوهُ	خِلَالَ النَّقْعِ لَيْسَ لَهُمْ قُلُوبُ
كَعَمْرٍو أَيْ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ	وَمَا ظَنُّي سَتَلْحَقُهُ الْعُيُوبُ
لَقَدْ نَادَاهُ فِي الْهَيْجَا عَلَى	فَأَسْمَعَهُ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُ

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَ شُعْرَاءِ الشَّيْعَةِ أَرَادَ الْإِشَادَةَ بِشَجَاعَةِ عَلِيٍّ لَمَّا
اسْتَطَاعَ أَنْ يَقُولَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَقَابِلَ عَمْرٍو
عَلِيًّا فَيُكْشَفُ أَوَّلُهَا عَوْرَتُهُ ، عِنْدَ مَا يَحْسُ بِخَطَرِ الْمَوْتِ ، لَيَنْجُو بِنَفْسِهِ مِنَ
الْهَلَاكِ الْمَحْقُوقِ . لَيْسَ مَعْقُولًا أَنْ يَصْدُرَ هَذَا مِنْ رَجُلٍ فِي مَرْكَزِ عَمْرٍو بْنِ
الْعَاصِ . وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا أَنْ يُعِيرَهُ مَعَاوِيَةُ بِتِلْكَ الْحَادِثَةِ . وَفَضْلًا عَمَّا تَقْدِمُ
فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا .

وإنك لتجد في شرح ابن أبي الحديد^(١) كثيرا من القصائد التي تنسب إلى معاوية وعمر بن العاص وابن عباس والوليد بن عقبة . وكل هذه القصائد فيها مدح كثير للأمام ، وتعظيم لشأنه تعظيما فيه مبالغة وإسراف . وهذا شيء لا ينتظر من قوم عرفوا بشدة بغضهم لعلی ، والإمعان في الكيد له ، والتقليل من خطره ، والتهوين من أمره ، والخط من شأنه .

وقد أسرف أدباء الشيعة في وضع مثل هذه القصائد حتى أنهم وضعوا شعرا ونسبوه إلى جبريل . روى أن الناس في غزوة أحد ، لما تفرق المسلمون عن النبي ووقف على يذود عنه ويرد عادية المشركين ، سمعوا صائحا يصيح في السماء بهذا البيت .

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا قِيَّ إِلَّا عَلِيٌّ
فسألوا النبي فقال ذاك جبرائيل^(٢) .

(٤) كفر ومجون

كما أنهم وضعوا شعرا كثيرا فيه كفر والحاد ، وفيه خلاعة ومجون ونسبوه إلى أعدائهم من خلفاء بني أمية . ومثال ذلك ما وضعوه على يزيد ابن معاوية .

لَيْتَ أَشْيَاخِي بَيِّدَ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَرْجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدُ لَا تُشَلْ
لَعَبْتُ هَاشِمُ بِالْمَلِكِ فَلَا خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيُ نَزَلَ

(٢) شرح ابن أبي الحديد .

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٦ ص ١١٩ .

لستُ من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعلُ
فليس مما يعقل أن يصدر مثل هذا القول من رجل يحكم الناس باسم
الدين، ويسيطر عليهم باسم الدين، ويخضعهم باسم الدين . نعم ليس من
المعقول أن يطمئن يزيد في الإسلام الذي لولاه لما كانت هناك خلافة
ولما كان هناك سلطان . وإذا صدقنا أن يزيد كان فيما بينه وبين نفسه
ملحداً ، فلا نستطيع أن نصدق أنه يجاهر بهذا ويصرح به في مثل
هذا الشعر .

ومثل آخر أسوقه للقارىء . وهو قول أحد أنصار معاوية مخاطباً إياه :
إعطِ عمراً إن عمراً تاركٌ دينه اليومَ لدنيا لم تُحْزَ
إعطه مصراً وزده مثلاً إنما مصرٌ لمن عَزَّ وبزَّ
إن مصراً لعلّى أو لنا يغلبُ اليومَ عليها من عجز
ففي هذا الشعر ترى أن عمراً ترك دينه وباع آخرته بدنياء ،
وفضل العاجلة على الآجلة ، وذلك بنصره معاوية في حربه ضد على .
وليس مما يصدق العقل أن يجرؤ أحد أتباع معاوية على مخاطبة سيده بمثل
هذا القول .

ومثال آخر وهو مما ينسب إلى عمرو بن العاص .

لما تعرّضتِ الدنيا عرّضتُ لها بحرصِ نفسي وفي الأَطباعِ أذهانُ
نفسٌ تعفُّ وأخرى الحرصُ يُغلبُها والمرءُ يأكلُ تبناً وهو غرثانُ
أما علىٌ فدينٌ ليس يشركه دنياً وذاك له دنياً وسُلطانُ
فاخترت من طمعي دنياً على بصر ومأ معي بالذى اختارُ برهانُ

إني لأعرف ما فيها وأبصره وفي أيضا لما أهواه ألوان
 لكن نفسي تحب العيش في شرف وليس يرصني بذل العيش إنسان
 وليس أبعد إلى الذهن من تصديق صدور مثل هذا القول من
 شخص كعمرو عرف بميله الشديد إلى معاوية وانصرافه عن علي . وهو
 لم يجد في ذلك كفرا ولا خروجا عن الدين ، ولم ير أنه اختار الدنيا
 وأعرض عن الآخرة ، بل كان يعتقد أن الخلافة سلطة زمنية يتسلم
 مقاليدها من يصلح لها من الناس . ومعاوية في نظره كان صالحا لها ، فإن
 نصره انتظر منه أحسن الجزاء ، وأعظم العطاء .

ومن ^(١) أمثلة هذا الشعر ما روى عن الوليد بن يزيد من أنه دعا ذات
 ليلة بمصحف ، فلما فتحه وافق ورقة فيها واستفتحوا وخاب كل جبار
 عنيد . من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ، فقال : أسجعا سجعاً !!
 علقوه ، ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مرقه ، ثم قال :

أتوعد كل جبارٍ عنيدٍ فها أنا ذاك جبارٌ عنيدٌ
 إذا لاقيت ربك يوم حشرٍ فقل لله مرقني الوليدُ
 وليس من المعقول أن يصدر هذا من الوليد بن يزيد مع اعترافنا
 بأنه كان يميل إلى اللهو والمجون ، لأنه هو القائل :

أشهد أن الدينَ دينَ أحمدٍ فليس من خالفه بمهتدي
 وأنه رسولُ ربِّ العرشِ القادرِ الفردِ الشديدِ البطشِ
 أرسله في خلقه نذيراً وبالكتابِ واعظاً بشيراً

ليظهرَ اللهَ بذلكَ الدينَا وقد جعلنا قبلُ مُشْرِكينا

فآثار التكلف ظاهرة على تلك القصة بوضوح وجلال ، فواضعها جعل الوليد يطلب مصحفا لغير ما سبب ، ثم يفتحه ، وهنا يظهر التصنع الذى يجعل نظر الوليد أول ما يقع على آية « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ... » ثم تدرج صانع هذه الأسطورة ، فجعل الوليد يقول : أسجعا سجعاً علقوه ، ثم جعله يأخذ النبل ويرميه حتى يمزقه ، ثم أنطقه بهذا الشعر الذى سقناه . ومهما يكن دين الوليد ، فمن المستبعد أن يقول « ها أنا ذاك جبار عنيد » .

ومثل آخر نسوقه للقارىء وهو ما حكى عن الوليد من أنه سمع صياحا فسأل عنه ف قيل له : هذا من دار هشام يكيه بناته فقال :

إني سمعتُ بليلاً وراء المصلى برنة
إذا بناتُ هشامٍ يندبن والدهنة
يندبن قرماً جليلاً قد كان يعضدونه
أنا المخنثُ حقاً إن لم أنيكنهنَّه

فظاهر أن البيت الأخير لا يمكن أن يصدر من الوليد . فبنات هشام هن بنات عمه وهو أحق الناس بالمحافظة على أعراضهن .

وقد نسبوا له شعراً ثبت أنه لغيره من شعراء المجون . ومثال ذلك ما رواه صاحب الأغاني وخرج الوليد بن يزيد من مقصورة إلى مقصورة

فإذا هو بينت له معها حاضنتها فوثب عليها فاقترعها ، فقالت له : إنها
المجوسية ، قال : أسكتي ثم قال :

من راقبَ الناسَ ماتَ غمًّا وفازَ بالِّلذَّةِ الجسورُ
قال أبو الفرج^(١) : « وأحسب أنا أن هذا الخبر باطل ، لأن هذا
الشعر لسلم الخاسر ، ولم يدرك زمن الوليد ، .

الفصل الثاني

الشعر عند الشيعة

لقد أغنت حركة التشيع الشعر العربي إلى حد كبير . وكان الشعر الناتج عنها شعرا غزيرا قويا . وسبب ذلك أن الموقف الذي وقفه الشيعة من شأنه أن يلهب العاطفة ويهيجها ويشيرها . والعاطفة أكبر دعامة من دعائم الشعر . وكان للشيعة عواطف بارزة قوية يرجع إليها الفضل في كثرة ما وصلنا عنهم من شعر . العاطفة الأولى عاطفة الغضب ، فإنهم اعتقدوا أنهم سلبوا حقهم وغصبوه . واعتدى عليهم ظلما فحنقوا وغضبوا ، ودفعهم الغضب إلى أن يقولوا شعرا فياضا بالحنق والغيط على هؤلاء المعتصين .

أما العاطفة الثانية فهي عاطفة الحزن على ما حل بهم من نكبات جسام ، وما وقع عليهم من مصائب عظام طوال حكم الأمويين والعباسيين . والعاطفة الثالثة عاطفة الحب الشديد لآل البيت ، هذا الحب الذي أخذ يزداد بمرور الأيام ويقوى كلما اشتد اضطهاد الأمويين والعباسيين لأنتمهم .

وإذا نظرنا إلى الشعر عند الشيعة وجدنا أغراضه تنحصر في الأمور الآتية :

(١) المدح

مدح شعراء الشيعة أتمتهم بقصائد رائعة ، أظهروا فيها حبهم وعطفهم لآل البيت ، وإخلاصهم لهم وولاءهم . وقد كان هذا المدح في أول الأمر ساذجا لا غلو فيه ولا إسراف . ومثال ذلك ما ينسب إلى حجر بن عدي الكندي يمدح عليا يوم الجمل :

يَا رَبَّنَا سَلِّمْ لَنَا عَلِيًّا سَلِّمْ لَنَا الْمُبَارَكَ الْمُضِيًّا
الْمُؤْمِنَ الْمَوْحَّدَ التَّقِيًّا لَا خَطَلَ الرَّأْيَ وَلَا غَوِيًّا
بَلْ هَادِيًّا مُوَفَّقًا مَهْدِيًّا وَاحْفَظْهُ رَبِّي وَاحْفَظِ النَّبِيَّا
فِيهِ فَقَدْ كَانَ لَهُ وَلِيًّا ثُمَّ ارْتَضَاهُ بَعْدَهُ وَصِيًّا
وربما كان البيتان الأخيران قد أضافهما أحد الشيعة بمن عاشوا بعد عصر علي .

ومثل آخر من المدح وهو ما ينسب إلى أحد شعراء الشيعة يذكر نفور قومه إلى علي :

نُوقِرُهُ فِي فَضْلِهِ وَنُجِلُّهُ وَفِي اللَّهِ مَا نَرْجُو وَمَا تَتَوَقَّعُ
دَلَفْنَا بِجَمْعِ آثَرِ الْهَقِّ وَالْهُدَى إِلَى ذِي تُقَى فِي نَصْرِهِ نَتَسَرَّعُ
نَكَافِحُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ شَهِيرَةٌ تُصَافِحُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ فَتَقْطَعُ

ثم أخذ الشعراء يغنون في المديح شيئا فشيئا . ومثال ذلك ما ينسب للفرزدق في مدح^(١) علي بن الحسين . روى أن هشاما حج قبل أن يلي

الخلافة ، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه ، وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتنحوا حتى استلمه فقال أهل الشام لهشام : من هذا يا أمير ؟ فقال : لا أعرفه . فقال الفرزدق : لكني أعرفه ، هذا على بن الحسين وأنشأ يقول :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلِّهمُ	هذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العلمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
إذا رآته قريشٌ قالَ قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
إن عدَّ أهلُ القرى كانوا ذوى عددٍ	أو قيلَ من خير أهل الأرض قيل همُ
فليسَ قولُك من هذا بضائره	العربُ تعرفُ من أنكرت والعجمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ تجهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
في كفه خيزرانُ ريحه عبقٌ	من كفِّ أروعٍ في عرنيته شممُ
يغضى حياءً ويغضى من مهابتِه	فلا يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ

وهي خمسة وعشرون بيتاً . وقد شاع بين الناس أنها للفرزدق مع أن من المشكوك فيه أن الفرزدق يرتجل كل هذا في حضرة هشام ولا يجد من يقوم في وجهه من الجالسين . وقد ثبت أن الفرزدق قال أربعة أبيات ، ثم أخذ أدباء الشيعة يزيدون عليها ما ليس منها حتى بلغت خمسة وعشرين بيتاً .

ذكر صاحب^(١) الأغاني أن هذين البيتين .

في كفه خيزرانُ ريحه عبقٌ من كفِّ أروعٍ في عرنيته شممُ

يُغْضَى حَيَاءٌ وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
قالهما عمرو بن عبيد الشهير بالحزين في مدح عبد الله بن عبد الملك
ابن مروان ، وكان عبد الله من قتيان بنى أمية وظرفائهم ، وكان حسن
الوجه حسن المذهب .

قال أبو الفرج ^(١) : والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته
التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام التي أولها .
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
وهو غلط ممن رواه ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي
ابن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

وقال في موضع آخر : من الناس من ينسب هذه الأبيات لداود بن سلم
في قثم بن العباس ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه . ثم
أورد صاحب الأغاني الأبيات الآتية :

كم صارخ بك من راجٍ وراجية برجوك يا قثم الخيرات يا قثم
أى العمار ليست فى رقابهم لأولية هذا أوله نعم
فى كفّه خيزران ربحه عبّو من كفّ أورع فى عرينه شم
يُغْضَى حَيَاءٌ وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
قال أبو الفرج : وما ذكر لنا الصولى عن العلاءى عن مهدي بن
سابق أن داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول فى

شعره في علي بن الحسين عليه السلام . وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلاً من العرب يقال له داود وقف لقم فناداه وقال :

يكادُ يمسِكُه عرفان راحته ركنُ الحطيم إذا ماجاء يستلم
كم صارخ بك من راجٍ وراجية في الناس يا قم الخيرات يا قم
فأمر له بجائزة سنية ، والصحيح أنها لمالك الحزين في عبدالله بن
عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين في تلك الأبيات .
وأبيات الحزين مؤتلفة^(١) منتظمة المعاني متشابهة تنفي عن نفسها ،

* * *

ومن أمثلة المديح قول الكمي :

بل هوأي الذي أجُن وأُبدى لبي هاشم فروع^(٢) الأنام
للقريين من ندَى والبعيد ن من الجور في عرى^(٣) الأحكام
والمصيبين باب ما أخطأ الناس ومرسى قواعد الإسلام
والحماة الكفاة في الحرب إن لف ف ضرام وقوده^(٤) بضرام
والغيوث الذين إن أحل الناس فأوى حواضن^(٥) الأيتام

* * *

- (١) الأغال : ١٤ / ٧٥ .
(٢) الهوى : الميل . أجن : أضمر . أبدى : أظهر . وفروع الأنام : أرضهم وأسماءهم
(٣) الندى : الكرم . والعري جمع عروة . والأحكام جمع حكم .
(٤) الحماة جمع حامى وهو القاب عن الحرم .
(٥) الغيوث : جمع غيث وهو المطر والحصب . وأحل الناس أجذبوا . والمحل : الجذب
والقحط — حواضن الأيتام يريد بهن أمهات الأيتام .

ولما تطورت معتقدات الشيعة وظهرت آراؤهم في الأئمة والقول بعصمتهم ، وأن الإمام يشفع لأئمة يوم القيامة ، جاء ذلك واضحا جليا في شعر الشعراء الذين بلغوا في الغلو درجة بعيدة . ومثال ذلك قول ابن هاني الأندلسي يمدح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئتَ لا ماشاءتَ الأقدارُ	فاحكم فأنتَ الواحدُ القهارُ
وكانما أنتَ النبيُّ محمدُ	وكانما أنصاركُ الأنصارُ
أنتَ الذي كانتَ تُبشِّرُنا به	في كتبها الأحبارُ والأخبارُ
هذا إمامُ المتقينَ ومن به	قد دُوِّخَ الطُّغَيانُ والكفارُ
هذا الذي تُرجى النجاةُ بحبِّه	وبه يُحطُّ الإصرُ والأوزارُ
هذا الذي تُجدي شفاعتُهُ غدا	حقًا ونحمدُ أن تَرَاهُ النَّارُ
من آلِ أحدٍ كلُّ غَيْرٍ لم يكن	ينمى إليهم ليس فيه نَخارُ
كالبدْرِ تحتَ غمامَةٍ من قسطل	ضحيان لا يُخفيه عنك سِرارُ

وقد شاع مثل هذا المديح بين شعراء المسلمين . أنظر إلى المتنبي حين يقول :

لو كانَ عليك بالإله مُقسَما	في الناس ما بعثَ الإله رسولا
أو كانَ لفظك فيهمُ ما أنزلَ الـ	توراةَ والفرقانَ والإنجيلا

وانظر إليه حين يقول :

لو كانَ ذو القرنينَ أَعْمَلَ رَأْيُهُ	لما أتى الظلماتَ صِرْنَ شُمُوسا
أو كانَ صادفَ رأسَ عازرٍ سيفه	في يومِ معركةٍ لأعيا عيسى
أو كانَ لُجَّ البحرِ مثلَ يمينه	ما أنشَقَّ حتى جاز فيه موسى

يا من تَلَوْتُ من الزَّمانِ بظِلِّهِ أبداً ونظرُودُ باسمه إبليسا

وقد كثر مدح الشعراء لآل البيت كثرة مدهشة واشترك في هذا المدح شعراء شيعيون وسنيون . وكان مديح آل البيت سببا في ظهور المدايح النبوية ، والاستغاثة بآل رسول الله . وقد شغل هذا وذاك مكانا كبيرا في عالم الشعر كما أن هذا المدح في آل علي دفع كثيرا من الشعراء إلى نظم القصائد في مدح أبي بكر وعمر وعثمان فظهر ما نراه من القصائد البكرية والعمرية والعثمانية .

(٢) الرثاء

كانت مجزرة كربلاء التي قتل فيها الحسين وما حل بالعلويين بعدها دافعا قويا للشعراء أنطقهم بكثير من القصائد التي تسيل العبرات ، وتذيب القلوب ، وتفتت الأكباد . ولا غرابة في ذلك فهي صدى لتلك الدماء التي سفكت بغير حساب ، والأشلاء التي تناثرت وتركت على الأرض طعاما للطير ، والجثث التي أحرقت وذريت في الهواء ، والأجسام التي صليت وبقيت مصلوبة أياما تنبعث منها الروائح الكريهة ، والقبور التي هدمت وحرث مكانها وزرع . وقد كثر الشعر في رثاء آل البيت كثرة هائلة ، وكله صادر من أعماق النفوس ، منبعث من قرارة الأفئدة . فكان للأدب العربي من ذلك ثروة لا تقدر . ومن أمثلة ذلك ما ينسب لزوجته الحسين .

إنَّ الذي كان نورا يُستضاء به بِكربلاء قتلٌ غيرُ مدفونٍ

سَبَطَ النَّبِيُّ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً
 قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلًا صَعْبًا أَلُوذُ بِهِ
 مَنْ لِلْيَتَامَى وَمَنْ لِلسَّائِلِينَ وَمَنْ
 وَاللَّهِ لَا أَبْتَغِي صَهْرًا بِصَهْرِكُمْ
 عَنَّا وَجُنُبْتَ خُسْرَانَ الْمَوَازِينِ
 وَكُنْتَ تَصْحَبُنَا بِالرَّحْمِ وَالْدِينِ
 يُغْنِي وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مُسْكِينٍ
 حَتَّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالطِّينِ
 وَقَوْلُ السَّيِّدِ الْحَمِيرِيِّ :

أُمِرُّزْ عَلَى جَدَثِ الْحَسَنِ
 آعْظِمَا لَا زَلَّتِ مِنْ
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ
 وَابِكِ الْمُطَهَّرِ لِلْبَطْنِ
 كُبُكَاءَ مُقُولَةٍ أَتَتْ
 بَيْنَ فَقُلْ لَأَعْظِمَهُ الزَّكِيَّةُ
 وَطِفَاءً سَاكِنَةً رَوِيَّةُ
 فَأُطْلُ بِهِ وَقَفَ الْمُطَيَّةُ
 هَرِ وَالْمُطَهَّرَةِ النَّقِيَّةُ
 يَوْمًا لَوَاحِدِهَا الْمُنِيَّةُ

وَمِنْ جَيِّدِ مَا قِيلَ فِي رِثَاءِ آلِ الْبَيْتِ قَصِيدَةُ دَعْبِلِ الْخَزَاعِيِّ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَدَارِسُ^(١) آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ
 لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِيٍّ
 دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ
 دِيَارُ عَفَاها كُلُّ جَوْنٍ مُبَاكِرٍ
 قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا
 وَأَيْنَ الْأَلَى شَطَطَتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى
 وَمَنْزَلُ وَحْيٍ مُقْفِرُ الْعَرَصَاتِ
 وَبِالرُّكْنِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ
 وَحِمَزَةِ وَالسَّجَادِ ذِي^(٢) الثَّنَاتِ
 وَلَمْ تَعْفُ لِلْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ
 مَتَى عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ
 أَفَانِينَ فِي الْآفَاقِ مُفْتَرِقَاتِ

(١) معجم الأدباء ج ١١ / ١٠٣ •

(٢) السجادة هو علي بن عبد الله بن العباس سمي بهذا لكثرة السجود • والثقات جمع ثقة وهي رتبة الإنسان • يريد أن ركبته تأثرتا من كثرة السجود •

وهي طويلة ، وسنورد بقيتها حينما نتكلم عن أشهر شعراء الشيعة .
وقد روى أن كثيرا من شعراء الشيعة وأدبائها كانوا يجتمعون
ويكون وينوحون بالقصائد التي ينظمونها في رثاء آل البيت . وما بُكِيَ
به قول أحد الشعراء .

بني أحمدٍ قلبي لكم يَتَقَطَّعُ بمثلِ مُصَابِي فيكمُ ليس يُسْمَعُ
عَجِبْتُ لَكُمْ تَفْنُونَ قَتْلًا بِسَيْفِكُمْ وَيَسْطُو عَلَيْكُمْ مَنْ لَكُمْ كَانَ يَخْضَعُ
كان رسول الله أَوْصَى بِقَتْلِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ تُوزَعُ

(٣) الهجاء

أكثر شعراء الشيعة من هجاء أعدائهم أمويين وعباسيين ، كما هجوا
أبا بكر وعمر وعثمان هجاء مرا ، وقالوا في ذلك كثيرا . ومن أشهر من
عرّض بهؤلاء في شعره السيد الحميري ، وهو شاعر عاش في أواخر
الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية . وكان شيعيا غالبا ، وقد ذكره
صاحب الأغاني^(١) بقوله : فكان يفرط في سب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، ويستعمل شعره في قذفهم والطعن عليهم
فتحوى شعره من هذا الجنس وغيره ، وهجره الناس تخوفا وتوقيا ،

وكان مهيار الديلمي الذي عاش في القرن الرابع الهجري كثير الطعن
في هؤلاء الصحابة . ولكن شعره لم يهجره الناس كما هجروا شعر السيد

الْحَمِيرَى ، فوصل إلينا كل ما قاله في هذا الباب . ومن أمثلة هذا الهجاء قول أحد شعراء الشيعة :

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرى فوق المنابرِ من أُمَيَّةٍ خاطِبا
فاللهُ آخرُ مدَّتِي فَتَطَاوَلْتُ حتَّى رأيتُ من الزَّمانِ عَجَائِبًا
في كلِّ يومٍ للزمانِ خَطيْبُهم بينَ الجميعِ لآلِ أَحْمَدَ عَائِبًا
وقول مبيار :

حَمَلُوها يومَ السَّقِيفَةِ أَوْزًا را تَخَفَّ الجبالُ وهى تُقالُ
ثمَّ جَاءُوا من بَعْدِهَا يَسْتَقِيلُو نَ وهياتَ عَثْرَةٌ لَا تُقالُ
يا لها سِوَةٌ إذا أَحْمَدَ قَا م غدا بينهم فقال وقالوا
رَبْعُ هَمَى عليهمُ طَلَلُ با قِ وَتَبَلَى الهومُ والاطلالُ
ومن قوله أيضا :

أَللهَ يا قومُ ، يَقْضِي النَبِيُّ مطاعا فيُعْصَى وما غُسِّلَا
ويُوصى فنحرصُ دَعْوَى عليه هِ في تركهِ دينَه مُهْمَلَا
وَيَجْتَمِعُونَ على زَعْمِهِم وَيُنْيِيكَ سعدٌ بما أَشْكَلا
فيعقبُ إجماعهم أن يبيد ت مفضولهم يقدم الأفضلا
وَأَن يُنزعَ الأمرُ من أهله لَأَن عَلِيًّا له أَهْلَا
وساروا يَحْطُونَ في آلِهِ بِظُلْمِهِمُ كُلَّكَلا كُلَّكَلا
ومنها :

فيومِ السَّقِيفَةِ يا بنِ النَّبِيِّ ي طَرَّقَ يومَكَ في كَرْبَلَا

وَعُصْبُ أَيْيِكَ عَلَى حَقِّهِ وَأَمَّكَ حَسَنَ أَنْ تَقْتُلَا

ولما أكثر شعراء الشيعة من الطعن على الخلفاء الأول قام فريق من شعراء السنيين يدافعون عن أبي بكر وعمر وعثمان ويذودون عنهم ، فكان من هذا وذاك شعر كثير . قال بديع الزمان الهمداني من قصيدة طويلة .

إِمَامٌ مِنْ أَنْجَمِ فِي السَّقِيَّةِ قَطْعًا عَلَيْهِ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ
نَاهِيكَ مِنْ آثَارِهِ الشَّرِيفَةِ فِي رَدِّهِ كَيْدَ بَنِي حَنِيفَةِ
سَلِ الْجِبَالَ الثُّمَّ وَالْبَحَارَا وَسَائِلَ الْمَنَبَرِ وَالْمَنَارَا
وَاسْتَعْلِمِ الْآفَاقَ وَالْأَقْطَارَا مِنْ أَظْهَرَ الدِّينَ بِهَا شِعَارَا
ثُمَّ سَلِ الْفَرَسَ وَبَيْتَ النَّارِ مِنْ الَّذِي فَلَّ كَسْبَا الْكَفَارِ
هَلْ هَذِهِ الْبَيْضُ مِنَ الْآثَارِ إِلَّا لثَانِي الْمُصْطَفَى فِي الْغَارِ
وهي طويلة فليرجع إليها القارىء . إن شاء في الجزء الثانى من معجم الأدباء طبع القاهرة^(١) .

(٤) الدِّفَاعُ عَنْ حَقِّ عَلِيٍّ

كان الدِّفَاعُ عَنْ حَقِّ عَلِيٍّ وَآلِ بَيْتِهِ فِي الْخِلَافَةِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي شَغَلَتْ شُعْرَاءَ الشَّيْعَةِ ، فَتَنَاولُوا هَذَا الْمَوْضُوعَ وَقَالُوا فِيهِ كَثِيرًا . دَافَعُوا عَنْ هَذَا الْحَقِّ دِفَاعًا مَذْكُورًا ، وَلَمْ يَتْرَكُوا حُجَّةً وَلَا دَلِيلًا يَثْبُتُ حَقَّهُ فِيهَا إِلَّا أَتَوَاهُ بِمَفْصَلٍ مُشْرُوحٍ ، وَلَمْ يَدْعُوا بِرَهَانٍ وَلَا بَيِّنَةٍ تُؤَيِّدُ رَأْيَهُمْ ،

وتدعم مذهبهم إلا ذكروها ونوهوا بها . ويعتبر الكمية أول شاعر
 شيعي لجأ في الدفاع عن حق على إلى الدليل والبرهان ، وقد قال عنه
 الجاحظ : إنه من أول من دل الشيعة على طرق الاحتجاج ، ومن قوله :
 وقالوا ورثناها أبانا وأمنا وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
 يرون لهم حقاً على الناس واجباً سفاهاً وحقاً الهاشمين أوجباً
 ولكن موارد ابن آمنة الذي به دان شرقي لكم ومغرب
 ومنها :

يقولون لم يورث، ولولا ثرائه لقد شركت فيه بكيلاً وأزحَبُ
 وعكٌ ولحمٌ والسكونٌ وحميرٌ وكندةٌ والحيانُ بكرٌ وتغلبُ
 ولا تنشلت^(١) عضوين منها يُخَابِرُ وكان لعبد القيس عضو^(٢) مؤربٌ
 ولا تنقلت من خندف في سواهم ولا قتدحت قيس بها ثم أئقبوا
 ولا كانت الأنصارُ فيها أدلة ولا غُيِّبَ عنها إذا الناس غُيِّبُ
 هم شهدوا بدرا وخيرَ بعدها ويومَ حنينٍ والدماءُ تصبُّ
 وهم رائموها^(٣) غير ظئر^(٤) وأشبلوا عليها بأطراف القنا وتحدَّبوا
 فإن هي لم تصلح لقوم سواهم فإن ذوى القربى أحق وأقربُ
 فيالك أمراً قد اشتت وجوهه وداراً ترى أسابها تتقضبُ
 تبدلت الأشرار بعد خيارها وجدَّ بها من أمةٍ وهي تلعبُ
 فأنت ترى أن الكمية قد ألف حجة قوية فهو يقول : لو لم يورث

(٢) عضو مؤرب نصيب تام .
 (٤) الظئر التي تعطف على غير ولدها .

(١) أخذت نصيبين .
 (٣) قبلوا دعوة الرسول .

التي كانت الخلافة شائعة في قبائل العرب ، ولما كان هناك معنى للقول بأن الخلافة في قريش . فإن قلم بأن الخلافة في قريش ودفعت الانصار عنها بهذه الحجة ، فلا معنى لتقديم قريش إلا لقرابتها من الرسول ، وإذا كانت قرابتها هذه هي الحجة التي تستند إليها فالأقرب أولى . فبنو هاشم أولى من بني أمية ، وبنو علي أولى بني هاشم . وهذه الحجة التي أتى بها الكميّ ليست جديدة ، ولا هي من اختراعه ، بل مر بنا ذكرها حينما رأينا عليا يجادل أبا بكر وعمر ، ويقول لهما : أنا أحتج عليكما بمثل ما احتجتم على الانصار . ولكن الكميّ أول من صاغ هذه الحجج في الشعر وأتى بها في القصيد .

* * *

وقد ترتب على مثل هذا الشعر ظهور نوع من النقائض بين شعراء العلويين والعباسيين ، ترى فيها الحجة تدفع الحجة ، والبرهان يبطل البرهان . واجتهد كل فريق في الاستناد إلى القرآن والحديث والسنة والإجماع لتأييد وجهة نظره . ومثال ذلك قول أحد شعراء العباسيين مخاطبا الرشيد :

يا ابن الأئمة من بعد النبي ويا ابن الأوصياء أقر الناس أو دفعوا
لولا عدي^(١) وتيم^(٢) لم تكن وصلت إلى أمية تمرّ بها وترتضع
وما لآل علي في إمارتكم وما لهم أبدا في إرثكم طمع

(١) قبيلة منها عمر بن الخطاب .

(٢) قبيلة منها أبو بكر الصديق .

يا أيها الناس لا تغزب حلوكمو ولا تضيفكم إلى أكتافها البدع
العم أولى من ابن العم فاستمعوا قول النصيحة إن الحق مستمع
وقول شاعر آخر :

ألا لله درُّ بني عليٍّ ودرُّ من مقاتلهم كثيرُ
يسمون النبيَّ أبا ويأبى من الأحزاب سطرٌ بل سطورُ

يشير الشاعر هنا إلى آية الأحزاب « ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم ولكن رسول الله » . وكان من أكبر دعاة العباسيين في الشعر
مروان بن أبي حفصة . لقد مدح المهدي والرشيدي ، ونال جوائزهما
العظيمة ، وله قصيدة مشهورة مدح بها المهدي عندما عقد البيعة
لابنه الهادي :

يا ابن الذي ورث النبيَّ محمداً دون الأقارب من بني الأعمام
الوحي بين بني البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة نزلت بذلك سورة الأنعام
خللوا الطريق لمعشر^(١) عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام
إرضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثة كل أصيد حام
أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام
ألغى سهامهم الكتاب فحاولوا أن يشرعوا فيها بغير^(٢) سهام

(١) يريد بالمعشر العباسيين . وحطم المناكب يوم الزحام كناية عن غلبهم لخصومهم .
يوم التنافس في المجد .

(٢) أى أن يتألفوا دون أن يكون لهم نصيب مفروض فيها .

ظفِرتُ بنو ساقِ الحجيجِ بحَقِّهم وغُرِّرتُمُ بتوَنِّهم ^(١) الأَحلامِ
عَقِدْتُ لموسى بالرَّصافةِ بيعةً شَدَّ الإلهُ بها عُرى ^(٢) الإسلامِ
موسى الذى عرفتُ قريشُ فضلَه ولها فضيلَتُها على الأَقوامِ
قيل إن أشدَّ بيت كان على الشيعة قوله :

أنى يكونُ — وليس ذاكُ بكائنُ — لبنى البناتِ وراثَةُ الأَعمامِ ^(٣)
وقد غاظهم هذا البيتُ حتَّى لعنوه من أَجله ، وردوا عليه بقولهم :
لم لا يكونُ وإنَّ ذاكُ لكائنُ لبنى البناتِ وراثَةُ الأَعمامِ
للبناتِ نصفُ كاملٍ من مالِه والعَمُّ متروكٌ بغيرِ سهامِ
ما للطلقِ وللتراثِ وإِنَّمَا صلى الطليقُ مخافةً ^(٤) الصَّمصامِ
قال أبو الفرج « قال صالح بن عطية الأضجم وهو شيعى ، لما قال مروان :

أنى يكونُ وليسَ ذاكُ بكائنُ لبنى البناتِ وراثَةُ الأَعمامِ
لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أى وقت أمكننى ذلك ،
وما زلت ألاحظه وأبره ، وأكتب أشعاره حتى خضعت به فأنس بى
جدا ، وعرفت ذلك بنو حفصة جميعا فأنسوا بى ، ولم أزل أطلب غرةً
حتى مرض من حمى أصابته ، فلم أزل أظهر له الجزع عليه حتى خلا لى
البيت يوما فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما فارقه حتى مات . »

(١) ساقى الحجيج هو العباس بن عبد المطلب كان يسقى الحجاج بمكة فى الجاهلية .

(٢) موسى الهادى ابن الخليفة المهدي .

(٣) وراثَةُ الأَعمام : يرید وراثَةُ كوراثَةِ الأَعمام .

(٤) الطليق هو العباس أسر مع المشركين يوم بدر ثم افتدى نفسه .

ولقد كان مروان من أحب الشعراء إلى الرشيد لأنه كان يصل
مدح الرشيد بالتعريض بالشيعة والطعن فيهم . وقد اضطر الشعراء
الآخرون إلى مجاراة مروان في طريقته حتى يظفروا بمثل ما كان يظفره
من العطايا والهبات .

(٥) ذكر مناقب آل البيت

أكثر شعراء الشيعة من التغنى بمناقب علي وآل بيته في شعرهم .
فكانوا كلما سمعوا منقبة قالوا فيها شعرا ولو كانت هذه المنقبة مما لا يقبله
العقل . وتعتبر قصائدهم التي نظموها في هذا الموضوع من الشعر
القصصى ؛ لأنك تجد الشاعر يسرد لك عجيبة من عجائب علي ، أو عادة من
خوارق عاداته ، أو أمرا غريبا وقع له من شأنه أن يرفع من مقام علي
أمام الناس ويجعله سيد الأوصياء بغير شك ولا ريب . وقد كان
السيد الحميري من أكثر شعراء الشيعة ذكرا لمناقب علي . قال صاحب
الأغانى ^(١) « كان السيد الحميري يأتي الأعمش — وهو عالم كوفي ثقة في
الأخبار — فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ، ويخرج من عنده
ويقول في تلك المعاني شعرا » .

ثم قال « فخرج ^(٢) ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة ، وقد حمله
على فرس ، وخلع عليه ، فوقف بالكناسة — محلة بالكوفة — ثم قال :
يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل
فيها شعرا أعطيته فرسي هذا وما علي . فجعلوا يحدثونه وهو ينشدهم » .

من ذلك أنه سمع رجلا يروى عن النبي أنه قال لعلي بن أبي طالب :
إنه سيولد لك بعدى ولد ، وقد نخلته اسمى وكنتى فقال فى ذلك قصيدة
طويلة نذكر منها .

ألم يبلغك والأنباء تنمى	مقال محمد فيما يؤدى
إلى ذى عليه الهادى على	وخولة خادم فى البيت تردى
ألم تر أن خولة سوف تأتى	بوارى الزند صافى الخيم نجد
يفوز بكنتى واسمى لآتى	نخلتهما والمهدى بعدى
يغيب عنهم حتى يقولوا	تضمنه بطيبة بطن الحد

* * *

ومن ذلك أيضا أنه سمع محدثا يقول إن النبي كان ساجدا فركب
الحسن والحسين على ظهره ، فقال عمر رضى الله عنه : نعم مطيكا ! فقال
النبي « ونعم الراكبان هما » فقال السيد فى ذلك :

أتى حسنا والحسين النبي	وقد جلسا حجرة ^(١) يلعبان
فقداهما ثم حياهما	وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه	فنعم المطية والراكبان
وليدان امهما برة	حصان مطهرة للحصان

(٦) النقائص

وهي القصائد التي تبادلها شعراء الفريقين من الشيعة وخصومهم وكانت مملوءة بالشتائم والسباب ، مفعمة بالألفاظ النابية التي تنفر منها الأسماع . وهي وإن كانت تدخل ضمن الهجاء ، إلا أني آثرت أن أفرد لها مكانا خاصا . لأن الهجاء عند الشيعة تناول الأموات أكثر من الأحياء : تناول أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة بالسب واللعن والتكفير ، ورميهم بالغدر والخيانة واغتصاب حق علي في الخلافة . أما هذه النقائص فكانت هجاء متبادلا بين شاعر وشاعر يطعن أحدهما في أخلاق الآخر وعرضه وشرفه وحسبه ونسبه ، ويتهمه بالفسق والفجور فيرد عليه الآخر ردا فيه فحش وفيه إقذاع . ومن أمثلة ذلك قول كثير وكان يدين بالرجعة

وسنطُ لا يذوق الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يقدّمها اللواء
تغيّبَ لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسلٌ وماء
فأتى علي بن الجهم وقال^(١) :

ورافضةٌ تقولُ بشعبِ رضى إمام ، خابَ ذلك من إمام
إمامٌ من له عشرون ألفا من الأتراكِ مُشرعة السهام
فرد عليه البحرى بقوله :

إذا ما حصّلتُ عليا قريشٍ فلا في العير أنت ولا النفير
وما رُغشاؤك الجهم بن بدر من الأَقمارِ ثم ولا البدور

ولو أعطاك ربك ما تمنى لزاد الخلق في عظم الأيور
علام هجوت مجتهدا عليا بما لفقت من كذب وزور
أمالك في استك الوجعاء شغل يكفك عن أذى أهل القبور

كذلك امتازت النقائض بأن الشاعر كان يقول القصيدة ، فسرعان
ما ينبري شاعر آخر للرد عليه . ومثال ذلك قول أحد شعراء طلحة :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل
نلقى ابن عفان بأطراف الأسل ردوا علينا شيخنا ثم بجمل
الموت أحلى عندنا من العسل لا عار في الموت إذا خان الأجل
إن عليا هو من شر البدل إن تعدلوا بشيخنا لا يعتدل
فأجابه رجل من أنصار علي :

نحن قتلنا نعلًا فيمن قتل أكثر من أكثر فيه أو أقل
أني يرد نعل وقد قحل نحن ضربنا وسطه حتى انجزل
لحكمه حكم الطواغيت الأول آثر بالفئ وجافي في العمل
فأبدل الله به خير بدل إني امرؤ مستقدم غير وكل

ومن هذا النوع أيضا قول الوليد بن عقبة يخاطب أنصار علي
متهما إياهم بالاستيلاء على أسلحة عثمان بن عفان وهو :
بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

بنی هاشمٍ كيف الهوادة بيننا وعند على درعه ونجائبه
قتلتم أخى كما تكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرزبه
قال ابن أبي الحديد^(١) : فأجابه عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب بأبيات طويلة من جملتها :

فلا تسألوا ما سيفكم إن سيفكم أضيع وألقاه لدى الرّوع صاحبه
شبهته كسرى وقد كان مثله شديها بكسرى هديه وضرائبه^(٢)
أى كان كافرا كما كان كسرى كافرا ،

ومنها :

وكان وليّ العهد بعد محمدٍ علىّ وفى كلّ المواطن صاحبه
علىّ وليّ الله أظهر دينه وأنت مع الأشقيين فيمن تحاربه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسقٌ فإلك فى الإسلام سهمٌ تطالبه

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ / ٩٠ .

(٢) أستبعد صدور هذا من ابن أبي سفيان — المؤلف .